

تنوين النون، وحذف الالف المعلق فوق فضاء الكلمة، وكذلك الكافذات العنق الذي يشبه عنق الجمل، في طول رأسه، وحين أتى عليها بكاملها، رتل آية أخرى مسلوية من حزب « ولقد وصلنا » ..

وأخذوا يقرأون ..

كان الشاب غير مستقر في جلسته بصفة منتظمة، لقد أحسن بالحرارة المفرطة تفزو هيكله النحيل، وقام الى الخارج يطلب الهواء، لينظف جسمه من « الصهد » الذي اجتاحه، ولكن خروجه، أثناء القراءة، أثار تعليقات شتى، ومكث هناك طويلا. كان يسمح العسرق تارة ويلوح بمندبل لجلب الهواء تارة أخرى، ثم دخل ليجد الفقهاء قد انتهوا، كانوا غارقين في خضم السياسة، والعجيب في الامر ان الشاب قد لس في حديث عباس، دراية واسعة في خوض غمارها، كان الفقيه لايفتك يصب اللعنة على فرنسا التي استعمرت الجزائر وعذبت شعبها، الا ان الشاب ازداد نشوة ملات ساحة ذاكرته، وقد تساءل: كيف يعقل ان يتحدث فقيه في السياسة العالية؟ ماهمه منها؟ بيد انه مهما تساءل فهو يريد ان ينصت الى مثل هذه الاحاديث الصادرة من اناس بسطاء، لهم دورهم في الحياة والتعبير.

كانت كؤوس الشاي تنتظر بدورها انقضاء الحديث الذي يقسي متداولاً، يلوكه كل فم، وقد وزعت عليهم بسرعة لان الفقهاء يريسون القراءة النهائية، فان العشاء كان موضوعاً فوق الموأند ينتظر من ينقض عليه، وقرأ الفقهاء الآية الاخيرة، الى ان ثملت رؤوس الحاضرين من الانصات، بعدها أخذوا يغسلون أيديهم.

كانوا مكونين حلقات صغيرة، وكانت كل حلقة تحيط بمائة، وكان الفقهاء يشكلون ثلث الحاضرين، فقد انقسموا دائرتين كبيرتين، كان الجميع يأكل ويهمهم بكلمات مضية، لم يكن عبد القادر ضمن الاكلين، كان يقوم بتلبية النداءات، انه يوزع كوب الماء على كل من يرغب في شرب الماء، لقد كان مولياً جل اهتمامه بالفقيه عباس، حتى انه كان يعطيه الكوب دون ان يكون الآخر في حاجة اليه وانقضوا على الاكل ...

وغسلوا أيديهم من اللسم، وتجنسوا كل من أحس في نفسه التجشؤ! وان كان ذلك مكروهاً، ومثيراً في نفس الوقت جملة انتقادات باطنية لا توجه مباشرة الى المتجشئ؟ لقد استوى الفقهاء في الجلوس، يقرأون الفاتحة الاولى، ان الفاتحة تعيبد لاخذ المال، بل انها انتظار له، وأخرج عبد القادر من جيبه ورقة مالية، كانت الورقة صفراء، من فئة الف فرنك، فانسابت لمرآها بلاعيم الفقهاء وشخصت لها ابصارهم، وسقوه فيضا من الادعية والثناءات، ثم تبعه اخوه بورقة اخرى موازية، وهكذا اخذ الحاضرون يحكون جيوبهم كي يظفروا « بالفاتحة » .. ان الكل يريد تحقيق امل قديم، لقد تكدست حذاء رجلي عباس، كومة من الاوراق النقدية والفضية، ولقد اعطوا لكل واحد ما يريد ..

وخرج الجميع مهنتاً عبد القادر على هذه « الزردة »، ثم لفهم الظلام الاسود ..

قال الرجل لزوجته:

- مارايك؟ .. لقد كانت « زردة متخمة »!

فردت عليه زوجته بابتسامة ثقيلة الجيء ..

- حقا، كان كل شيء جميلاً، ولقد بذلت جهدي في ان يكون ذلك موفقاً، ثم ان صفاء قلبك هو الذي وفقها، ولكن يجب ان تستعد لاقامة « زردة » اخرى، تحضرها نساء العمارة، مارايك انت؟

وضحك الزوج بفتور، ومضى اخذعه كي يخلع عنه تعب هذه الليلة .. وارتمى فوق الفراش ..

# فيلاد

\*\*\*

فتحنا للهوى باباً .. وغنينا  
وأطلقنا خيال الارض عبر مقاطع الالفاظ  
ورحنا عن بلاد الناس  
نشيع عالماً كنا بجوف الليل قتلاه  
وما زالت على طرقاته أشلاء موتانا  
سنضرب في فجاج الريح مجهولين  
الهين ذوى في الارض ظلهما ..  
فراحنا عن بلاد الناس  
يهدهدنا اخضرار العالم المسحور في العينين  
وننسى أننا غرباء  
وأن قوافل السنوات لا تلد  
وننسى أننا بشر ..  
وأن العالم السفلي مهوَّانا  
وأن مخادع الاحلام ما عادت لنا برءاً  
وأن الموت يزحمننا .. يطاردنا بكل طريق  
تسمرنا على الجدران كفاء  
سنرحل دائماً .. ونعيش نضرة هذه الاكوان  
نداعب في الفضاء الرحب ظلينا  
ونغسل في انهمار الضوء قلبينا  
وفرشتنا عريشة غيم  
وغفوتنا على شباك حلم ناعم الاصداء

\*

سنرحل يا هوانا البكر ..  
يا اغنية الميلاد  
سنرحل دائماً .. ونموت قبل الموت

حسن النجار

القاهرة - بابل

ادريس علال الخوري

الدار البيضاء